(١٦)

ال لا هو
من أنا من أنت من هو

حديث الجمعة

٤ ذو القعدة ١٣٨٢ هـ - ٢٩ مارس ١٩٦٣ م

أنا، أنت، هو.

أنا من أنا، أنت من أنت، هو من هو.

أنا، أنت، ال لا هو. أنت، أنا، ال لا هو.

فأنت لأنا ال هو، وأنا لأنت ال هو يوم تكون أنت أنا وأنا أنت في ال لا هو.

إذن هو، ال لا هو، وال لا هو، هو ال هو. الظاهر مرآة الباطن، والظاهر والباطن ال لا هو.

ينشد الإنسان من الأزل الفهم في حقيقته، ويطرق إلى هذه الغاية كل سبيل، فتستقيم معه الطريق فترة ما، وتتعثر قدمه في أوحال الطريق فترة ما. يسير في الطريق ميسرة ممهدة مسافة ما، مع عامل ما، ثم يراها غير ممهدة كثيرة القلاقل والمرتفعات والمنخفضات والأوحال مسافة ما، يوم يسير منفردا وبلا دليل ولكنه بهمته وبصفائه وبصدق رغبته لا يعوقه شيء مما يرى من هذه العقبات عن مواصلة المسير في طريقه إلى غايته، سواء بمصادقة الدليل من عالمه أو من عالم غير منظور له، حتى إذا ما سلست معه واجتاز هذه العقبات ظن أنه وصل إلى الغاية، وأن الطريق ستبقى على ما يرى من يسر، فيضاعف الهمة، ويتعجل الخطى، فإذا به يرى في الطريق مرحلة أخرى شبيهة بما سبق أن رأى واجتاز. {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون}[١]، فيعاود الكرة، ويعقد العزيمة، ويواصل المسير. إن الطريق إلى الحقيقة في الواقع تبدأ من واقع النفس، وواقع النفس متجدد متطور، ولكنها تبدو أنها تبدأ من الغير، ولكن الذي يصح أن يقال إنها تبدأ بالوعي عنها من الغير، أو من العامل فيها سواء كان هذا العامل من الشهادة، أو من عالم ال لا هو، أو من الغيب أو عالم ال هو.

إذا انعكس الإنسان إلى نفسه، وبدأ في التأمل فيها والتحليل لها وصدق في طلبه، وبذل من همته صافي القلب، يقظ العقل، زكي النفس، تكشف له في نفسه أن الهو، ليس غير أناه القائم على إنائه، وأن ما يطلب من معرفة عن الحقيقة لحياته، وللوجود من حوله، ليس أمرا مباعدا بنفسه عن عين معناه، في أعماق نفسه وكبير نفسه من حوله، فإذا تكشف له الدثار أو الغطاء عن نفسه لرأى نفسه في حقيقتها منعكسة على كل ما يرى ويسمع ويلمس ويشم ويعقل، ورأي أنها وجها لمن ينشد وأنها ما كان ينشد، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}[٢]، {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[٣]. إن الذي تطلب النفس ويتوق إلى معرفته العقل قائم على كل نفس، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، فلا يطلبه عقلك بعيدا عن نفسك، فإذا رأى الطالب نفسه عين مطلوبه، ووقف عند هذا الحد، كان هذا عثرة من عثرات الطريق، وبدأت متاعبها، لأنه بهذا النظر يفرض نفسه على الآخرين، ويحاول فرض سلطانه بجديد وعيه، ويحاول بسط أمره عليهم بفعله، فيصطدم مع الآخرين، وبذلك يعتدي على شجرة الجنس المقدسة لأنه فاته أمر بسيط لا يستعصي على العاقل، ولا يبتعد إدراكه عن المتأمل، إن هذا الذي رأى في نفسه لنفسه، يستطيع كل من حوله أن يصل إليه.. لا.. بل الكل فيه، تكشف له أو لم يتكشف، وأنه لا بد يوما هو له متكشف.

فلو أنه أدرك ذلك عقب كشف أمره له في نفسه، يوم قال مدركا مؤمنا (أنا هو) وأنا.. ال لا هو وهو ال هو، وقدر وأدرك ذلك لمن حوله فتخلص من وهم انفراده بما تكشف له، وباعد بينه وبين أن يعلن أنه، هو، أو أنه ال لا هُو، بل حرص على أن يكون لمن حوله ما هو له، وأحب لإنسانيته ممن حوله أن يتكشف لها ما تكشف له، فقال لكل من يحب، ولكل من يعول، (أنت هُو، أنت ال لا هو)، فإن صدق في تعليمه بما علم، وإيقاظه بما به استيقظ، وهديه بما به هُدي فاهتدى رائيا الله هاديا به، لاهتدى به مهتدي بتيسير الله فقال له المهتدي به (وأنت يا سيدي هُو، وأنت يا سيدي ال لا هو) فتواصيا بالحق، وعرفا أن (أنا وأنت)، إنما هما ال لا هو وأنهما ظاهر ال هُو فأدركا، وقد قاما وانتشرا أمة من ال لا هو، أن المؤمن مرآة المؤمن، فأصبحا وجهين لله ناضرين بالله وجوها ناضرة لربها ناظرة. تنظر الله في كل ما تراه، وتواصوا (أنا، نعم هو، وأنت نعم هو، وأنا وأنت واحد في الهو)، بنا هذا الواحد ونحن به تعارف لنا وإلينا ال لا هو، فدخلنا في حصن (لا إلى هو إلا ال لا هو)، وطلبنا الأكبر، من الهو ل ال لا هو، لأنا عرفنا أن كل هو ل ال لا هو، وراءه هو، وال لا هو، وأن أنا وأنت ما نحن إلا هذا الهو وذاك ال ال لا هو في معارج الحقيقة المطلقة اللانهائية. فإذا ارتد إلينا بصرنا في بصيرتنا، فرأينانا ما حولنا، وتراءينا هُو، وال لا هو في معراج للهو ول ال لا هو طلبنا الأكبر لمعنانا فقلنا: وإن كنا هو، إلا أن لنا هُو، وإن كنا ال لا هو، فإن لنا أكبر من ال لا هو، فعرفنا الله ذي المعارج في معراج أنفسنا، وعرفناه منعما معطيا، وعطاؤه غير

مجذوذ، وعرفنانا في عقيدتنا عنا بأنا لا نهاية لتواجدنا بوصف الخلق، ولا نهاية لتجددنا من تواجدنا بوصف الخلق، إلى تواجد فيه يوما بوصف الحق نظهره، كشفناه في أنفسنا لأنفسنا يوم نظهر بحقي أنفسنا لخلقي أنفسنا، وبذلك قدرنا الله حق قدره، وقدرنا أنفسنا فيمن قدرناه مثالا مرضيا لأنفسنا حق قدره، نفوسا فيه ضعيفة صغيرة بعزلتها وقطيعتها، ولكنها به في ذاتها عظيمة كبيرة في صلتها وصلاتها ووصلتها، وجوها له بجلالها وبهجتها هو لنا وجه الكبير المتعال ربا لنا.

فإذا شغلتنا أنفسنا، بمعناها، من معناه، صدقنا أن لا إله إلا الله وشهدنا لا إله إلا الله. فإذا أحببناه رسوله الذي هدانا لهذا، قلنا له وقد أدركانا (أنت عين معنانا، وأنت سيدنا ومولانا، وأنت هُو لنا، وأنت ال لا هو عندنا).. فرد تحيتنا بخير منها، وقال (من كان مني وقد عرف، فسأكون منه وقد شرف، ولهذا يوما سيعرف)، فإذا عرفناه لنا ومنا الهو وال لا هو، أكبرنا الله عنا، إليه ربا لنا منه لعباد له منا. فلما قال لنا أنا منكم ما رأيتم أنكم مني، وحقق لنا ذلك منا به، أكبرنا الله علينا وعليه، فقلنا يا رسول الله.. إنا معك رفاق، أنت لنا الرفيق الأعلى، أنت لنا الهو، وال لا هو، والله أكبر في تعاليه، والله أكبر في تدانيه، لا تفارقنا في معراجنا تعاليا وتدانيا، ولا تدعنا نفارقك في معراجك تعاليا وتدانيا، أنت لنا وجه ربك، فاجعل منا بك وجوها له هي وجوه لك انتشارا لحقه بك.

بذلك عرفنانا عندما أنا بالله بدأنانا، مدركين أن الله هو الحياة في معنانا، وأن الله برسوله نحن منه، هو منه مولانا، وأن الله بعد ذلك لنا هو منا، وفوق ذلك لنا نحن منه، فعرفنا الله في الأكبر لنا منا، وعرفنا الله في أنفسنا بالأكبر فيما أبدع لنفسه منا، وعرفنا الله في أنفسنا إكبارا وتقديرا معجزا لنا يوم عرفناه الأكبر مما صنع منا ومن خلالنا بعثا منا لما كان قبلنا وفوقنا...

عرفنا أن ابن آدم شُرف بأبيه يوم اجتمع عليه، وشُرف برب أبيه يوم هو لمعنى أبيه مصطفيه، خلق فسوى ثم أقرأه كتاب نفسه يوم بعث منه أباه مرة أخرى أباه الذي أكبر وقدر، ولم تفارقه صفة الإكبار له كلمة لله منه أو كلمة لله عليه فعرفه دون أبيه قديما وقادما، ما رآه لله عبدا ورأى في كلمته له ربا، فإذا تواصل البعث منه لأبٍ لأبيه فتواجد منه فصار هو أبا لأبيه وأبوته فعرف أن الله فيه، وأن الله في أبيه، وآبائه كلمات له يداول الأيام بينها بوظائف لها، ويعطي كلا منها وصف الآخر، فيكون الولد مصطفىً أبا لأبيه يوم يكون الأب منه مبعوثا ابنا لبنيه، يتجدد إنسانا في سرمدي معناه وقائم شجرة إنسانه لفردوس ذاته وحق حقيقته، لا بدء للإنسان في الله، ولا انتهاء للإنسان في الله، خلقا أو حقا. وبذلك كان السعيد من عرف الله في قيام الحياة بمعناها في معناه فكان للأكبر لمعناه، قبلا أو بعدا، عبدا ومولى لا تفارقه صفة العبد له، فحرص على وصف العبد لنفسه لا يفارقه، يوم عرف أن العبد حق كما أن الرب حق، وأن العبد رب كما أن الرب عبد، وأن الغيب حق غاب عن شهوده

ولم يغب عن وجوده، وأن الظاهر مرآة الباطن حقيقة، وقياما وحسا، فعرف أن الدين واقع الوجود، وهو في واقع الحياة وأحداث الحياة ونظم وقوانين الحياة على ما هو واقع الحياة، وعرف أن محمدا جاء بدين الفطرة حقا، وأن من تابعه كان في دين القيمة ممن جعل الله منهم مصابيح للطريق، وسفنا للنجاة، عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا، لا يستكبرون، وللطغيان بنفوسهم زكية لا يستشرفون، ولها بالكبرياء لا يرضون، وعن الطغاة يبتعدون، ودولتهم لأنفسهم يحذرون، وعلى أنفسهم بالحياة وعن أن تهلك بشهوات الدنيا يحرصون، والنار وقد حفت بالشهوات يحذرون، لا يأبهون لما يعترض طريقهم من عقبات لأن الجنة حفت بالمكاره...

والجنة عندهم هي الصلاة، والصلاة عندهم هي الصلة، والصلة عندهم هي كشف القناع عن أنفسهم، وجهنم عندهم هي احتجابهم عن المحبوب، عن المنشود، عن المطلوب، عن المعروف، عن الموجود، عن الحي القيوم، في قيام الحياة بذواتهم وبأنفسهم. جهنم عندهم هي احتجابهم عن أنفسهم بالحياة للحي بهم.

هذه هي الطريق، وهذا هو المسلك إليها والسلوك فيها، وهذا هو الإيمان بها، والإيمان بها هو الدين، والبحث عنها هو المجاهدة، والسير فيها هو الجهاد الأكبر، وهذا هو فقه طلبها، وضرورة المجاهدة للسير إليها، وطرق أبوابها، ما عرفنا أننا في دين الإسلام، في دين الفطرة، في دين الصلة، في دين القيام بالله، يوم نقول قامت الصلاة، فإذا ما قامت الصلاة في قيام الإنسان بالله، قامت متصلة غير منقطعة، دائمة غير موقوتة {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين}[٤].

أما صلاة المواعين، صلاة المرائين، صلاة المكذبين، صلاة القوالب من الطين، فويل للمصلين الذين لا يزدادون بصلاتهم من الله إلا بعدا، إذ هم يراءُون، إذ يتلون الكتاب وهم لا يعقلون، ولا ما به يعملون ليكونوا بحب عباد الرحمن ومتابعتهم ربانيين، ينسون أنفسهم والناس يذكِّرون، وعلى الله باسم الله يستعلون، أنبياء كذبة يقومون، وخطباء فسقة يحشرون، وفقهاء ضللة يسمون، إلا من تاب فرحم، وقليل ما هم.

هذا هو الحق من ربكم بقسط الحياة فيكم، رفعكم فوق بعض درجات في الدنيا والآخرة، قائما على أنفسكم بنفس في وحدانيته لا يفارقكم، ولو فارقكم لفارقتكم الحياة، فهو الحياة، وهو أنانيتكم بالحياة، فلا تغيبوا الله عن معانيكم، ولا تطلبوه بعيدا عن أوانيكم، واذكروا الله كثيرا يذكركم، واسترحموه يرحمكم، وهو التواب الرحيم.

اللهم أنا في أنفسنا طلبناك على ما أمرتنا، وأكبرنا رسولك على ما هديتنا، فعرفنانا به منك نقوم مؤمنين، وعرفناك به علينا تقوم به مرحومين، فجددتنا به برحمتك وجددته منا بكرمك في نظام فطرتك، فعرفناك به لنا الأكبر والأكبر من قبلنا، والأكبر والأكبر من بعدنا، والأكبر والأكبر من فوقنا، فعبَّدنا أنفسنا لك على دوام موحدين، ودخلنا بك في الحصن الأمين، في حصن لا إله إلا الله بك مغفورين، ودخلنا في الله أكبر، برسولك مرحومين، فقمنا في وحدانيتك عارفين غير منكرين، ولعظمتك ذاكرين، ولرحمتك شاكرين، وبحقي عبوديتك قائمين، وللرفيق الأعلى متابعين، ومزيدا من الحقائق طالبين، ولتجديد أثوابنا بالعبودية عاملين غير وانين، لنورك بك ناشرين، بك نقوم ونتقلب في الساجدين، لك ذاكرين وبك شاكرين. اللهم أحينا لك مساكين، وابعثنا فيك مساكين، واحشرنا إليك في زمرة المساكين.

اللهم لا تحرمنا دوام معاني العبد لك عارفين، دراكين، مقدرين، مكبرين، داعين عاملين، يقظين موقظين، مغمورين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وولِ اللهم أمورنا خيارنا، في الدنيا والدين، في الأولى والآخرة، واليقين، ولا تولِ أمورنا شرارنا، ردًّا لأعمالنا علينا، وجزاءً وفاقا بما كسبنا، اللهم عاملنا برحمتك مقبولين، وبعفوك مغفورين، وعافنا من عدلك مكرَمين، مصطفين.

واجعل اللهم وسيلتنا إليك عبدك ورسولك، من جعلته في خدمة الأولين والآخرين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.. فلا تزغ قلوبنا عن الطريق المستقيم، ولا تردنا إلى الضالين الغاوين برحمتك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

أضواء على الطريق

(أريدكم أن تعلموا جميعا أنني أشعر بدَيني للروح الأعظم كلما مضت السنون واستوثقت بيننا أواصر الحب الأخوي، إذ أعطاني شرف خدمتكم وساعدني على كسب مودة قلوب المحبين الذين يعرفوني، لا كما أكون، وإنما يستمعون إليَّ وأنا أحدثهم في كل أسبوع، هؤلاء الذين يحترمونني لأنهم يعتقدون ويثقون فيّ.

إني فخور بحبكم وثقتكم. أجاهد دائما لكي لا أقول شيئا أو أعمل شيئا قد يفسد بأي حال مودتكم العظيمة لي التي أعرف أنها تنبع من قلوبكم.

إني أبتهج لأن أعمالكم قد جاءت بثمر كثير. إني أبتهج لأن كثيرين جدا قد وجدوا ضوء الحق بناء على العمل القليل الذي أنجزناه. إني أُسر لأن الجهل قد غُلب على أمره، واضطرت الخرافة للاندحار. إني

أُسر إذ أصبحت لكم قلوب قوية في المعركة العظيمة التي راهنا عليها دائما، ولأنكم لم تفشلوا. وقد أصبحتم في وضع الاحترام عند من تفتحت آذانهم لسماعكم، وآمل أن أتمكن بمساعدتكم من نشر الرسالة وأداء عمل الذين أرسلوني. لقد لعبتم دوركم في ولاء، ولم تخونوا الأمانة العظيمة التي ألقيت عليكم. إنا نسير للنصر قدما. إني أُسر لخدمتكم فإني أرى بعين التواضع نجاح مهمتي معكوسا في أعمالكم).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة العنكبوت - ٢
٢ سورة ق - ٢٢
٣ سورة الملك - ٤
٤ سورة الأعراف - ٢٠٥